

نفحات القرآن

[160] ولا سيما المتخلّفين في الحجاز- معرفة بعظمة السماوات، ولعلمهم كانوا يظنّون أنّ السّماء سقّفٌ رماديّ اللون قريبٌ منهم، ضُربت عليه مسامير النجوم الفصّية! أجلّ°. . اننا اليوم ندرك جيداً المفهوم العميق لهذه الآية، لأنّ السّماء تفحّصوا هذه السّماء الواسعة من خلال المراصد الفلكية العملاقة، وأهْدَوْا إلينا عجائب مذهلة عن عظمتها والنظام السائد فيها، ومن أين ندري أن ما يشاهدونه اليوم لا يبلغ معشار عظمة هذا العالم، ولعل هذه الحقيقة تتضح غداً للملأ، لهذا يقول تعالى في آخر الآية: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(1). وفي الآية التاسعة تمّ جمع دورة كاملة من دروس التوحيد ومعرفة الله في استفهام إنكاريّ حيث يقول: (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ). والجدير بالاهتمام هنا أن كلمة (فاطر) تعني المشقّق، وجاء استخدام هذا التعبير أما بسبب تمزيق حجاب عدم والظلمة أثناء خلق السماوات والأرض وإشراق نور الوجود في خلق السماوات والأرض، أو إشارةً إلى ما يُعرفُ اليوم لدى علماء الفلك حيث أن جميع هذه الكُرات والمنظومات كانت في اليوم الأول على هيئة مجموعة كبيرة تترابط معاً، وانفصلت عن المركز نتيجة لحركتها حول نفسها والقوة الطاردة، والقت بقطع منها إلى الخارج وظهرت المنظومات والمجرات الثابتة والسّيّارة(2). على أيّة حال، سواء كان المشركون هم المخاطّبون في هذه الآية أو منكرُوا وجود الله تعالى، أو كلاهما. ويُسْتَفاد من هذه الآية الكريمة هذه الحقيقة، وهي أنّ *** ويشير في الآية العاشرة إلى خاصيّة أُخرى من خصائص السّماء والأرض إذ يقول تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَدَايَ نَافَا بِأَيِّدٍ). فمن المسلّم به أنّ خلقَ مثل هذه العوالم الجبّارة يستلزم قدرةً مناسبةً له، وهي قدرة الباري عزّ وجلّ وحدها. ويضيف فيما بعد (وإنّ السّماءَ لمُوسِعُونَ). وبالرغم من إنّ بعض المفسّرين اعتبروا ذلك بمعنى توسعة الرزق عن طريق هطول المطر وغيره(1) تنفصل عن بعضها بسرعة. يقول أحد العلماء المعروفين ويدعى (جورج غاموق) في كتابه (بداية ونهاية العالم): "يمسّر فضاء الكون الذي يتألّف من مليارات المجرات بحالة من الامتداد السريع، والحقيقة هي أنّ عالمنا ليس ثابتاً بل إنّ اتّساعه مُسلّمٌ به، والوقوف على كون عالمنا يمرّ بحالة من الاتّساع يهيئ لنا المفتاح الحقيقي لكنوز أسرار النظرية الكونية، فلو أن العالمَ يمسّر اليومَ بحالة من الاتّساع والامتداد فهذا يعني أنّّه كان يمرّ بحالة من الانكماش الشديد في عابر الأزمان"(2). ومما يبعث على الدهشة إنّ هذا التوسّع يسيرُ سريعاً بالقدر الذي يقول عنه (فورد هوفل) فيكتاب (حدود النجوم): (لقد تم قياس أقصى

سرعة لتباعد الكرات حتى الآن بما يقارب 66 ألف كيلو متر في الثانية، وتُدَلِّلُ الصور
الملتقطة عن السماء على هذا الاكتشاف المهم بوضوح، حيث أنَّ الفاصلة بين المجرَّات
النائية تتضاعف بسرعة أكثر من المجرَّات القريبة (3)! * * * ونقرأ في الآية الحادية عشرة
تعبيراً جديداً حول خلق السماء إذ يقول: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً)،
فهل هناك سماءٌ في العالم على هيئة سقفٍ يُحفظُ من تغلغل الكائنات الخارجية؟ نعم. .
فالسما هنا يمكن أن تكون إشارة إلى الفضاء الذي يحيط بالارض ويبلغُ سمكُهُ مئات الكيلو
مترات، فهذه الطبقة التي تتألف من الهواء المضغوط اللطيف وبقية الغازات المحيطة بجوانب
الكرة الارضية على هيئة سقف دائري، قويةٌ بالقدر الذي يصفها بعض العلماء بأنَّ لها
مقاومةً بقدر سقف فولاذيٍّ بسُمكٍ عشرة امتار، وهي لا تمنع نفوذ الاشعاعات المدمرة فحسب،
بل تمنع سقوط الصخور الفضائية التي تنجذب نحو الارض باستمرار، لأصطدامها بهذه الطبقة
الجوية بسرعتها الخارقة، فتكون مانعاً لحركة تلك الصخور، كما يؤدي هذا الاصطدام إلى
احتراق تلك الصخور وانصهارها. فلو لم تكن هذه الطبقة الجوِّية العظيمة واصبح اهلُ الارض
عُرْضةً للملايين من قذائف الصخور الفضائية الصغيرة والكبيرة ليلَ نهار، فماذا سيحصلُ؟
وهل يكون هناك وجودٌ للاستقرار في "مهد الارض"؟ وهل سيكون اسمُ المهد والمرقد لائقاً
بها؟. لا ضير ان تقرأ هذا الكلام الوارد على لسان عالم معروف يُدعى (فرانك آلن)